رسم المصحف وأثره فى توجيه القراءات القرآنية عند ابن عادل الدمشقى فى تفسيره " اللباب فى علوم الكتاب "

إعداد الباحث

محمد رجب حسن السيد

ملخص البحث : تناولت هذه الدراسة أثر رسم المصحف في توجيه القراءات القرآنية عند الإمام ابن عادل فى تفسيره اللباب فى علوم الكتاب , وقد تحدثت فيه عن تعريف الرسم لغةً واصطلاحاً والمقصود باتباع الرسم العثمانى , وذكرت بعض الأمثلة التى توضح مدى اعتماد ابن عادل على رسم الصحف فى توجيه القراءات القرآنية وأثر الرسم فى التوجيه الصرفي والنحوى للقراءات والحكم على القراءة بالشذوذ لمخالفة الرسم.

مقدمة البحث:

من المسلم به أن القرآن الكريم كان يكتب في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن القراءات كانت تصل إلينا عن طريق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وعلى هذا فالقراءات المتواترة مردها إلى الصحابة أخيرًا؛ لأنها قراءتهم أصلاً، ولكن كثيرًا من قراءتهم، وإن كان يوافق رسم المصحف إلا أنه يختلف مع المعنى الذي نستفيده من القراءات المتواترة[1].

وتجمع المصادر الإسلامية على أن السبب الذي دفع عثمان رضي الله عنه على تدوين المصاحف التي تنسب إليه هو ما استشرى من خلاف بين المسلمين حول قراءة القرآن. حتى بلغ بهم الأمر إلى تكفير بعضهم بعضًا، وتمنح أكثر الروايات لشخصية الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان دورًا بارزًا في حث الخليفة الثالث على عملية التدوين[2].

وأقصد بإتباع خط المصحف: هو أن تكون القراءة موافقة لأحد المصاحف العثمانية التي أمر بكتابتها الخليفة عثمان بن عفان بعد موقعة اليمامة التي توفى فيها عدد كبير من الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن الكريم.

([1]) منهج أبي حيان الأندلسى فى اختياراته من القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة المعاصر, رسالة دكتوراه للباحث / يحيى عبابنه , جامعة عين شمس القاهرة 1997, ص59.

([2]) المصاحف. للسجستاني "باب جمع عثمان المصاحف ص195 وما بعدها".

والتعريف بالرسم العثماني "هو عبارة عن المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه، وأرسلها إلى الأمصار الإسلامية، وكانت مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة وكانت مجردة من النقط والشكل محتملة لما تواترت قرآنيته، واستقر في العرضة الأخيرة، ولم تنسخ تلاوته[3].

وقيل: "يراد برسم المصحف الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه، ومن كان معه من الصحابة في كتابة القرآن، ورسم حروفه، والذي وجد في المصاحف التي وجه بها إلى الآفاق والأمصار، والمصحف الإمام الذي احتفظ به لنفسه"[4].

وتتضح أهمية رسم المصحف في أنه أحد الشروط الثلاثة لقبول القراءة أو تواترها، ثم إن رسم المصحف ذو علاقة وطيدة في مسألة الإعراب الذي تميزت به العربية عن غيرها من اللغات في وقت تدوينها، وبعض علماء العربية استدلوا من خلاله على وجود الإعراب في العربية الفصحى، وأنه الإعراب– ليس من اختراع النحاة"[5].

ولكن قبل الخوض في اعتماد ابن عادل على قاعدة اتباع الرسم العثماني في توجيه القراءات القرآنية يجب أولاً تعريف الرسم لغة واصطلاحًا.

أولاً: الرسم لغة:

هو "الأثر أو بقية الأثر"[6] قال ابن فارس:" الراء والسين والميم ,أصلان: احدهما الأثر , والأخر ضرب بالسير "[7]

قال الجوهرى :" الرسم الأثر, ورسم الدار مكان من آثارها لاصقاً بالأرض ,رترسمت الدار: تأملت رسمها , ورسم على كذا كذا ,أى كتب[8] "

ثانياً: الرسم إصطلاحاً:

هو "طريقة كتابة كلمات القرآن في المصحف من حيث عدد الحروف ونوعها لا من حيث شكل الخط وجماليته"[9].

([3]) القراءات/ لشعبان محمد إسماعيل ص 84 دار السلام للطباعة والنشر 1406هـ، 1986م.

([4]) شرح كتاب التيسير للداني في القراءات المسمى الدر النثير والعذب النمير للمالقى ص 58، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1424هـــــــــ ، 2002م.

([5]) ينظر فقه اللغة على عبد الواحد وافي ص 215، وفصول في فقه اللغة ص 342.

([6]) لسان العرب: مادة "رسم" 154/6.

([7]) معجم مقاييس اللغة 464/1 .

([8]) الصحاح 1569/4.

أو هو "ما كتبت عليه الأئمة في عهد عثمان بن عفان وبأمره"[10].

وهو "علم تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسى[11][12].

وهو أيضًا : " أوضاع حروف القرآن فى المصحف ورسومه الخطية "[13]

واحتج ابن عادل برسم المصحف فى توجيهه لبعض القراءات القرآنية , وتمثل ذلك فى عدداً من القضايا والمسائل النحوية والصرفية ومن أمثلة ذلك قضايا الحذف والزيادة , وتغير البنية الصرفية ... إلخ . وأذكر بعض الأمثلة التي توضح ذلك. 1– حذف ياء المتكلم من الفعل المتصل بنون الوقاية.

ون ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ...﴾ [سورة آل عمران: 20]، قال ابن عادل: "وقد أثبت الياء في "من اتبعني" نافع[14] وحذفها أبو عمرو خلاد– وقفًا– والباقون حذفوها فيهما؛ موافقة للرسم، وحسن ذلك أيضًا كونها فاصلة ورأس آية نحو ﴿أكرمن﴾ [الفجر: 15]، و﴿أهنن﴾ [الفجر: 16] وعليه قول الأعشى: [المتقارب].

وهل يمنعنِّي ارتيادي البلاد مِنْ حَذر الموت أن يأتين[15]

قال بعضهم: حذف هذه الياء مع نون الوقاية– خاصة– فإن لم تكن نونٌ فالكثير إثباتها[16].

يتضح من المثال السابق أن ابن عادل احتج القراءة باقي القراء بالحذف وصلاً وقفًا على أنها إتباعاً للرسم وأيضًا كونها فاصلة ورأس آية.

2– حذف ياء الفعل المضارع المعتل الآخر المرفوع

ومن ذلك أيضًا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا﴾ [الكهف: 64].

([9]) أبحاث في العربية الفصحى: د/ غانم قدوري الحمد ,دار عمار ,ط1,2005م, ص 137.

([10]) المرجع نفسه ص 137.

([11]) الرسم القياسي هو: "تصوير اللفظ بحروف هجائية غير أسماء الحروف مع تقدير الابتداء والوقف ينظر/ همع الهوامع للسيوطي/ تحقيق: عبد العالم سالم مكرم مطبعة– دار البحوث العلمية، الكويت 305/2، 306.

([12]) جامع البيان في معرفة رسم القرآن د/ على إسماعيل السيد هنداوي، دار الفرقان، الرياض ص 1410 ص 9.

([13]) مقدمة ابن خلدون: لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون ,دار إحياء التراث العربى , بيروت ,سنة 1408ه,ص 438.

([14]) انظر: حجة القراءات 158، الكشف 332/1، الإتحاف 473/1، البحر المحيط 428/2.

([15]) ينظر ديوان الأعشى 65، 69، الكتاب 587/4، شرح أبيات سيبويه346/2 شرح المفصل 40/9، 86، المحتسب 349/1، الدر المصون 50/2.

([16]) اللباب 111/5.

يقول ابن عادل: "في قوله "نبغي" حذف نافع[17] وأبو عمرو والكسائي ياء "نبغى" وقفًا، وأثبتوها وصلاً، وابن كثير أثبتها في الحالين، والباقون حذفوها في الحالين، إتباعًا للرسم، وكان من حققها الثبوت، وإنما حذفت تشبيهًا بالفواصل، أو لأن الحذف يؤنس بالحذف، فإن ما موصولة حذف عائدها"[18].

يتضح من كلام ابن عادل أن الحذف كان لعلة إتباع الرسم العثماني، وأن من حقها الثبوت لأن من القواعد التي بنيت عليها العربية، أن "نبغ" فعل مضارع معتل الآخر، لم يسبقه حرف من حروف الجزم، لذا وجب أن تثبت الياء منه. ومنه أيضًا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...﴾ [هود: 105]، قال الإمام ابن عادل: "قوله: "يوم يأت– قرأ أبو عمر الكسائي ونافع يأتي"[19] بإثبات الياء وصلاً، وقرأ ابن كثير بإثباتها وصلاً وقفًا، وباقي السبعة: قرءوا بحذفها وصلاً ووقفا.

وقد وردت المصاحف بإثباتها وحذفها: ففي مصحف أبي إثباتها، وفي مصحف عثمان حذفها، وإثباتها هو الوجه؛ لأنها لام الكلمة، وإنما حذفوها في القوافي، والفواصل؛ لأنها محل وقالوا: لا أدْرِ، ولا أبالِ"[20].

يلاحظ من كلام ابن عادل أنه ذكر ثلاث قراءات، فقراءة أبو عمرو الكسائي ونافع بإثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف، أما قراءة ابن كثير فهي بإثبات الياء وصلاً وقفًا، وأما قراءة الباقين بالحذف في الحالين.

واحتج ابن عادل بقراءة إثبات الياء بما ورد في مصحف الصحابي الجليل أبي بن كعب واحتج لقراءة الحذف أنهم محذوفة في المصحف الإمام– مصحف عثمان بن عفان.

اختار قراءة الإثبات، لأنها لام الكلمة وهي "فعل مضارع مرفوع لم يسبق بجازم هذا ما تقتضيه قواعد الإعراب.

3– حذف حرف العطف في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ [القصص: 37].

يقول الإمام: "قوله: "وقال موسى" هذه قراءة العامة بإثبات واو العطف، وابن كثير حذفها[21].

([17]) ينظر السبعة 391، والنشر 316/2، والتيسير 147، والإتحاف 319/2، التبصرة 584، والكشف 82/2.

([18]) اللباب 528/12.

([19]) الحجة 373/4، وقرأ بالياء في الوصل أبو جعفر وقرأ بها في الحالتين أيضًا يعقوب ينظر الإتحاف 135/2، البحر المحيط 261/5، حجة القراءات 348.

([20]) اللباب 563/10، 264.

([21]) الحجة لابن خالويه 278، الكشف 174/2.

وكل وافق مصحفه، فإنها ثابتة في المصاحف غير مصحف مكة، وإثباتها حذفها واضحان[22].

احتج ابن عادل لقراءة العامة بأن الواو ثابتة في المصاحف وقراءة ابن كثير حذفت الواو لأنها غير موجود في مصحف مكة.

ومنه أيضًا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: 116].

يقول ابن عادل: "قرأ الجمهور" وقالوا بالواو عطفًا لهذه الجملة الخبرية على ما قبلها، وهو أحسن في الربط.

وقيل: هي معطوفة على قوله "وسعى" فيكون قد عطف على الصلة مع الفعل بهذه الجمل الكثيرة، وهذا ينبغي أن ينزه القرآن عن مثله.

وقرأ ابن عامر[23]. وكذلك هي في مصاحف الشام "قالوا" من غير واو وكذلك يحتمل وجهين:

أحدهما: الاستئناف.

والثاني: حذف حرف العطف وهو مراد، استغناء عنه بربط الضمير بما قبل هذه الجملة[24].

احتج ابن عادل في هذا المثال لقراءة ابن عامر بحذف واو العطف بأنها ساقطة في مصاحف الشام.

4- **حذف العائد** ومن الأمثلة التي أشار فيها اختلاف الرسم في إثبات الهاء العائد على الموصول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ [الزخرف: 71].

قال الإمام: "قرأ نافع وابن عامر وحفص "تشتهيه"[25] بإثبات العائد على الموصول، كقوله: ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: 275]، والباقون بحذفها كقوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: 41]. وهذه القراءة شبيهة بقوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: 35] وهذه الهاء في هذه السورة رسمت في مصاحف المدينة والشام وحذفت من غيرها"[26].

وحجة من أثبت الهاء وأنها على الأصل، لأنها تعود على الموصول، وهو "ما" بمعنى الذي، ولأنها بالهاء في مصاحف المدينة والشام، فاتبعوا الخط.

([22]) اللباب ج15 ص 259.

([23]) انظر الكشف 260/1، والسبعة 168، والعنوان 71، حجة القراءات 110، 111.

([24]) اللباب ج2 ص 419.

([25]) السبعة 588، الكشف 262/2، حجة ابن خالويه 210، معاني القراءات 441، حجة ابن زنجلة 654.

([26]) اللباب 17/ 291.

وحجة من حذف الهاء أنه حذفها استخفافًا لطول الاسم، وقد أجمعوا على الحذف في قوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾، وفي قوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: 59] أي اصطفاهم...وهو كثير في كلام العرب"[27].

من الواضح مما سبق أن ابن عادل احتج لقراءة إثبات الهاء العائد على الموصول برسم المصحف والقرآن الكريم أيضًا.

ومن قرأ بإثبات الهاء فقد جمع بين اللغتين في الآية الواحدة، أثبات الهاء في "تشتهيه الأنفس" وحذفها في "وتلذ الأعين"، ومن حذف جاء بهما على لغة واحدة.

وقال الفراء: "وفي مصحف عبد الله: "تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين، بالهاء فيهما"[28].

وقال النحاس: "القراءتان حسنتان فإثبات الهاء على الأصل، حذفها لطول الاسم[29].

5- زيادة الألف وحذفها

ومنه أيضًا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: 31].

يقول ابن عادل: "قوله: "أيها المؤمنون" العامة على فتح الهاء وإثبات ألف بعد الهاء، وهي "ها" التي للتنبيه. وقرأ ابن عامر هنا وفي الزخرف "يأيه الساحر" [الزخرف: 49]، وفي الرحمن "أيُّه الثقلان" [الرحمن: 31] بضم الهاء وصلاً، فإذا وقف سكن"[30].

ووجهها: أنه لما حذف الألف لالتقاء الساكنين استحقت الفتحة على حرف خفى، فضمت الهاء إتباعًا، وقد رسمت هذه المواضع الثلاثة دون ألف، فوقف أبو عمرو الكسائي بألف والباقون بدونها إتباعًا للرسم، وبموافقة الخط للفظ، وثبتت في غير هذه المواضع حملاً لها على الأصل نحو "يأيها الناس" "يأيها الذين آمنوا" وبالجملة فالرسم سنة متبعة"[31].إذن حذف الألف هنا نتيجة إتباع الرسم.

ولو رسمت هذه المواضع بإثبات الألف كباقي المواضع لما احتملت قراءة ابن عامر لذا حذفت الألف لتحتمل قراءة الضم.

ومنه أيضًا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: 107].

ويقول ابن عادل: "قوله: "الظنونا" قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بإثبات ألف بعد نون.

([27]) الكشف262/2، الموضح 1157/3 وغيره.

([28]) معاني القرآن للفراء 37/3.

([29]) إعراب القرآن للنحاس 101/3.

([30]) السبعة 455، 586، 587، والكشف136/2، 137.

([31]) اللباب ج14 ص 363.

"الظنون" ولام الرسول في قوله: ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: 66]، ولام السبيل في قوله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: 67] وصلاً وقفًا موافقة للرسم[32]؛ لأنهن رسمن في المصحف كذلك، وأيضًا فإن الألف تشبه هاء السكت لبيان الحركة، وهاء السكت تثبت وقفًا للحاجة إليها وقد ثبت وصلاً إجراءً للوصل مُجرى الوقف...

فكذلك هذه الألف، وقرأ أبو عمرو وحمزة بحذفها في الحالين[33]؛ لأنها لا أصل لها وقولهم: أجريت الفواصل مُجرى القوافي غير معتدٍّ به لأن القوافي يلتزم الوقف عليها غالبًا، والفواصل لا يلزم ذلك فيها فلا تشبَّه بها، والباقون بإثباتها وقفًا وحذفها وصلاً إجراءً للفواصل مُجرى القوافي في ثبوت ألف الإطلاق كقوله:

استأثر الله بالوفاء وبالعدلِ ووَلَّى الملامة الرَّجُلاَ[34]

وقوله:

أقلِّى اللّوم عاذلَ والعتَابا قولى إن أصبتُ لقد أصابا[35]

ولأنها كهاء اسكت وهي تثبت وقفًا وتحذف وصلاً"[36].

و"اتفقت المصاحف على رسم هذه الكلمات الثلاثة بإثبات ألف في آخرها"[37].

احتج ابن عادل لقراءة إثبات الألف وقفًا وصلاً برسم المصحف، واعترض ابن عادل على توجيه بعضهم لقراءة حذفها في الحالين على أنها أجريت الفواصل مُجرى القوافي.

واختار بعضهم قراءة إثبات الألف وصلاً وقفًا لإتباع الرسم "والاختيار إثبات الألف في الوصل الوقف إتباعًا للمصحف"[38].

([32]) انظر الإتحاف 353، والسبعة 519، 520، إبراز المعاني 645، 646، حجة لابن خالويه 289.

([33]) المراجع السابقة.

([34]) البيت من المنسرح للأعشى ينظر ديوانه 170 والشاهد فيه "الرِّجُلا" إطلاق الألف فكان بالإمكان أن يقول"لرِّجُل ولكنه أطلق وهنا يصح وكثير في كلامهم.

([35]) البيت من الوافر لجرير والشاهد: أصابا– والعتابا" بألف أطلقت ناشئة عن إشباع فتحة الباء ينظر الكتاب 205/4، 208، المقتضب 375/1، والخصائص 171/1، 96/2، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد أبي سعيدالأنباري النحوي,ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف:تأليف:محمد محيي الدين عبد الحميد,دار الطلائع 187/2,وابن يعيش 115/4، والديوان 89.

([36]) اللباب ج15 ص 511، وينظر حجة ابن خالويه 184، حجة ابن زنجلة 573– 574.

([37]) ينظر المقنع للداني 39، النشر 260/2.

([38]) الكشف195/2.

وأقول إنما رسمت هذه الكلمة بالألف لتحمل كل القراءات الواردة فيها.

والذي عليه القياس أن تكون القراءة بغير ألف في الوصل والوقف[39].

ويعلق الزمخشري على هذه الآية: "إنها قرئت بزيادة الألف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية"[40].

والعرب قد تزيد في الوقف ما لا يكون في الوصل، نحو قولهم: هذا خالدّ، بتشديد الدال[41] ويقولون: ضربت الرجلات، ومررت بالرجلى[42].

وقد أضاف بعضهم وجهًا في إثبات الألف، وهو للتوفيق بين رؤوس الآي[43].

6- زيادة حرف الجر

احتج ابن عادل في توجيهه لقراءات بزيادة "مِنْ" الجارة وحذفها برسم المصحف.

وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: 100].

يقول ابن عادل: "وقرأ ابن كثير[44]: "تجري من تحتها الأنهار" بـــ "مِنْ" الجارة وهي مرسومة في مصاحف مكة، والباقون "تحتها" بدونها ولم ترسم في مصاحفهم وأكثر ما جاء القرآن موافقًا لقراءة ابن كثير في غير موضع"[45].

ذكر ابن عادل قراءتين متواترتين احتج لهما برسم المصحف فوافق كل قارئ مصحف بلده.

وفرق بعض العلماء بين القراءتين من حيث المعنى بقوله "والفرق بين القراءتين بالمعنى أنه إذا ألحق "مِنْ" أفاد أن "الأنهار" مبتدأ جريها من أسفل الجنات، لأن مِنْ لابتداء الغاية، ومن نصب ولم يلحق "مِنْ" أفاد أن "الأنهار" جارية من جهة أسفل الجنات[46].

([39]) الحجة في القراءات السبع ص 184.

([40]) الكشاف 254/3.

([41]) الكتاب 169/4.

([42]) حجة ابن زنجلة 573.

([43]) حجة ابن خالويه 184، حجة ابن زنجلة 573.

([44]) النشر 211/1، والإتحاف 306، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار لأبي عمرو عثمان بن سعيدالداني"ت444ه",ط1,تحقيق/محمد دهمان ,دار الفكر بيروت ,1983م,ص 104.

([45]) اللباب 187/10.

([46]) الموضح في وجوه القراءات وعللها,نصر بن علي بن أبي مريم "ت565ه",تحقيق/عمر الكبيسي ,ط1,منشورات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم,بجدة,1993م, 603/2.

وقال أبو منصور في توجيه هذه الآية أن المعنى واحد ولا اختلاف بين الزيادة والحذف بقولـــه: "مِنْ" تزاد في الكلام توكيد أو تحذف اختصارًا، والمعنى واحد"[47])

واحتجاجه أيضًا لقراءة القرآنية بزيادة حرف الجار لتأكيد برسم المصحف.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَـــابِ الْمُنِيـــرِ﴾ [آل عمران: 184].

قال الإمام: "وقرأ الجمهور: "والزبر والكتاب" من غير باء الجر- وقرأ ابـــن عـــامر "وبـــالزبر" بإعادتها"[48] وهشام وحده عنه "وبالكتاب" بإعادتها أيضًا- وهي في مصاحف الشاميين كقراءة ابن عامر، فمن لم يأت بها اكتفى بالعطف، ومن أتى بها كان ذلك تأكيدًا"[49].

7-صرف ما لا ينصرف لعب رسم المصحف دورًا بارزًا في توجيه القراءة نحويًا في صـــرف الاســـم ومنعه ومنه عند تفسير لقوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: 61].

يقول ابن عادل: "مصرًا" قرأ الجمهور منونً، وهو خط المصحف فقيل: إنهم أمروا بهبوط مصر من الأمصار فلذلك صرف.

وقيـــل: أمـــروا بمصـــر بعينـــه، وإنمـــا صـــرف لخفتـــه لســـكون وســـطه كـــــ "هنـــد... بعض مصاحف عثمان، ومصحف أبي، وابن مسعود، كأنهم عنوا مكانًا بعينه،

ذكر ابن عادل قراءتين إحداهما متواترة واحتج لها بخط المصحف الأخرى شاذة واحتج لها بأنها ممنوعة من الصرفة بدون ألف وهي مصاحف عثمان وبعض الصحابة.

8-ما بين الشرطية والموصولة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَـــا كَسَـــبَتْ أَيْـــدِيكُمْ﴾ [الشورى: 30].

يقول ابن عادل: "قرأ نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء[50]، والباقون بالفاء "فما" في القـــراءة الأولى الظاهر أنها موصولة[51] بمعنى الذي، والخبر الجار من قوله: "بما كسبت".

([47]) معاني القراءات لأبن منصور محمد بن أحمد الأزهري "ت370ه"،تحقيق/أحمد المزيدي،ط1،دار الكتب العلمية بيـــروت ,1999م،ص 214.

([48]) حجة القراءات 185، والكشف 370/1، وإعراب القراءات 125/1، والإتحاف 497/1.

([49]) اللباب 96/6.

([50]) ينظر السبعة 581، والإتحاف 383.

([51]) ينظر البيان 349/2.

وقال قوم منهم أبو البقاء[52]: إنها شرطية حذفت منها الفاء، قال أبو البقاء كقولـــه تعـــالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 121].

أما القراءة الثانية، فالظاهر أنها فيها شرطية، وقال أبو البقاء: إنه ضعيف[53] ولا يلتفت إلى ذلك. ويجوز تكون الموصولة، والفاء داخلة في الخبر تشبيهًا للموصول بالشرط بشروط مـــذكورة فـــي هـــذا الكتاب. وقد وافق نافع وابن عامر مصاحفهما، فإن الفاء ساقطة من مصاحف المدينـــة والشـــام، وكـــذلك الباقون، فإنها ثابتة في مصاحف مكة والعراق[54].

ذكر ابن عادل قراءتين متواترتين واحتج لهما برسم المصحف، واختلاف الرسم أدى إلى اختلاف الإعراب، فمن قرأ بالفاء كانت "ما" شرطية، لذا اعترض ابن عادل على أبي البقاء العكبري في تضـــعيفه أن تكون"ما"شرطية, واقتران جوابها هو في العربية أجود

9- تغير الصيغة الصرفية فى الاسم (بين الإفراد والجمع)

ومنه أيضًا عند تفسير لقوله تعالى: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 49].

يقول الإمام: "وقرأ نافع ويعقوب[55] فيكون طائرًا- هنا وفي المائـــدة- والبـــاقون "طيـــرًا" فـــي الموضعين.

فأمَّا قراءة نافع فوجُّهها بعضهم فإن المعنى على التوحيد، والتقدير: فيكون ما أنفخ فيه طائرًا ولا يعترض عليه بأن الرسم الكريم إنما هو "طيرًا" دون ألف- لأن الرسم يجوز حذف مثل هذه الألف تخفيفًا ويدل على ذلك أنه رسم قوله تعالى: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: 83] ولا طير- دون ألف: لـــم يقرأه أحد "طائر"- بالألف. فالرسم محتمل، لا منافٍ.

وأما قراءة الباقين فمعناها يحتمل أن يراد به اسم الجنس- أي: جنس الطير- ويحتمل أن يراد به الواحد فما فوقه، ويحتمل أن يراد به الجمع، ولاسيما عند من يرى أن طيرًا صيغة جمـــع نحـــو رَكْـــب وصَحْب...، جمع راكب وصاحب...والأخفش- وأمّا عند سيبويه فهي عند أســـماء جمـــوع، لا جمـــوع صريحة. وحسن قراءة الجماعة لموافقتها لما قبلها في قوله "من الطير" ولموافقة الرسم لفظًا ومعنى"[56].

([52]) التبيان 1133.

([53]) المرجع نفسه.

([54]) اللباب 17 ص 200.

([55]) انظر السبعة 206، والكشف 345/1، والحجة 44/3، وحجة القراءات 164، وإعراب القراءات 113/1، والإتحـــاف 479/1.

([56]) اللباب ج5، ص 245.

يتضح من كلام ابن عادل أن قراءة نافع موافقة للرسم تقديرًا، أي على تقدير أن الألف في قراءته محذوفة، وأما قراءة الباقين فهي موافقة للرسم تحقيقًا، وذلك أن رسم الكلمة دون ألف.

واختار ابن عادل قراءة الجماعة لمناسبة السياق فيما قبلها وموافقتها للرسم لفظًا ومعنى.

10- الحكم على القراءة القرآنية بأنها شاذة لمخالفة الرسم

وقد احتج ابن عادل لقراءة شاذة بمخالفتها رسم المصحف.

ومنه قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: 81].

ذكر ابن عادل قراءة شاذة ولم ينسبها في قوله "خطيئته" بقوله: "قرئ[57] "خطاياه" تكسيرًا، وهذه مخالفة لسواد المصحف؛ فإنه رسم "خطيئته" بلفظ التوحيد[58].

يفهم من كلامه أن هذه القراءة شاذة؛ لأنها مخالفة لرسم المصحف.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40].

يقول: "وقرأ عبد الله، أبو رزين[59] أبو مجلز: "المخيط" بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء. وطلحة بفتح الميم، وهذه مخالفة للسواد"[60].

وذكر ابن عادل قراءتين إحداهما متواترة والأخرى شاذة احتج الشاذة بمخالفة رسم المصحف.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: 32].

يقول ابن عادل "قوله: "ليكونا" قرأ العامة بتخفيف النون ويقفون عليها بالألف إجراء لها فجرى التنوين...وقرأت فرقة بتشديدها[61] وفيها مخالفة لسواد المصحف؛ لكتبها فيه ألفًا؛ لأن الوقف عليها كذلك[62].

احتج ابن عادل لقراءة العامة بالتخفيف، لأن النون كتبت ألفًا في المصحف على حكم الوقف وذلك لا يكون إلا في النون الخفيفة.

وأورد قراءة شاذة بتشديد النون وهذه مخالفة لرسم المصحف.

خاتمة البحث:

([57]) البحر المحيط 445/1، الدر المصون 274/1.

([58]) اللباب 218/2.

([59]) وبها قرأ ابن سيرين كما في المحرر الوجيز 400/2، البحر المحيط 300/4.

([60]) اللباب 114/9.

([61]) البحر المحيط 305/5، الدر المصون 18/4.

([62]) اللباب ج11 ص 94.

هدفت الدراسة إلى بيان أثر الرسم العثمانى وخط المصحف فى توجيه القراءات القرآنية عند ابن عادل وتوصلت الدراسة إلى بعض النتائج الآتية :

* تعد قاعدة الرسم من أهم المقومات التى اعتمد عليها ابن عادل فى توجيه القراءات صرفياً ونحوياً , و كانت على مساس برسم المصحف , إما بإسقاط حرف من النص القرآنى أو بالزيـــادة أو بالتقـــديم والتأخير أو عن طريق تغير فى البنية الصرفية.

*يتضح أهمية الرسم العثمانى أيضاً أنه أحد الشروط الثلاثة التى اتفق عليها العلماء لقبـــول القـــراءة أو التواترها؛ لذا حكم الإمام ابن عادل على بعض القراءات بالشذوذ ؛ لانها مخالفة لرسم المصحف

* لرسم المصحف أثر واضح فى فى رسم الكلمة القرآنية لتحتمل الكلمة القراءات الواردة فيها

المصادر والمراجع

(1) أبحاث في العربية الفصحى: د/ غانم قدوري الحمد , دار عمار , ط1 ,2005م.
(2) إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع :الإمام عبد الرحمن إسماعيل أبي شامة,"ت665ه",تحقيق/إبراهيم عطوة ,مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ,القاهرة ,د.ت.
(3) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر/ أحمد بن محمد الدمياطي النبا "ت 1117ه"ـــ رواه وصححه وعلق عليه- علي محمد الصباغ، دار الندوة الجديدة بيروت، د . ت.
(4) إعراب القراءات السبع وعللها ,تحقيق/عبد الرحمن بن سليمان العثيمين,طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة ,1992م .
(5) إعراب القراءات الشواذ:لأبي البقاء العكبري,تحقيق/محمد السيد عزوز,ط1,عالم الكتب بيروت,1417ه.
(6) إعراب القرآن للنحاس، أحمد بن محمود أبو جعفر النحاس ت. 338هـ "تحقيق زهير غازي زاهد الطبعة الثانية- عالم الكتب بيروت- 1985م .
(7) البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بابى حيان الأندلسى الغرناطى , ط2 , 1398ه ,1978م دار الفكر للطباعة والنشر, بيروت , لبنان .
(8) التبصرة في القراءات: مكي بن أبي طالب القيسي , تحقيق د/ محيي الدين رمضان,معهد المخطوطات العربية ,الكويت, ط 1,-1985م.
(9) التبيان في إعراب القرآن:أبوالبقاءالعكبري ,تحقيق/محمد علي البجاوي,مطبعة عيسى البابي,د.ت.
(10) التيسير في القراءات السبع / أبو عمرو الداني تحقيق/ أوتويرتزل، دار الكتب العلمية ط1، 1416هـ .
(11) جامع البيان في معرفة رسم القرآن د/ على إسماعيل السيد هنداوي، دار الفرقان، الرياض .
(12) حجة القراءات، لأبي زرعة, تحقيق سعيد الأفغاني، نشر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثالثة 1982.
(13) الحجة في علل القراءات السبع: أبو علي الحسن بن أحمد النحوي، تحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح شلبي، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة 1415.

(14) الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم ابن مجاهد، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي ت 377 تحقيق بدر الدين قهوجي، بشير حويجاني ط1 سنة 1404هـ، دار المأمون للتراث دمشق. ,ط3,-1403ه.

(15) الخصائص: لابن جني ,تحقيق /محمد علي النجار,بيروت , لبنان , ط3,-1403ه .

(16) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون :لأبي العباس بن يوسف السمين الحلبي ,تحقيق/علي محمد معوض وآخرين ,دار الكتب العلمية بيروت , ط,1994.

(17) شرح أبيات الكتاب:لأبي سعيد السيرافي, حققه د/ محمد علي سلطان,المطبعة الحجازية بدمشق, 1396ه,1976م.

(18) شرح طيبة النشر في القراءات العشر , للأمام شهاب الدين أبي بكر بن محمد بن الجزري,"ت853ه" ضبطه:الشيخ/أنس مهرة ,ط1,دار الكتب العلمية بيروت, 1418ه .

(19) العنوان في القراءات السبع :لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي"ت455ه",تحقيق د/ زهير زاهد , ود/ خليل عطية ,عالم الكتب بيروت ,1406ه.

(20) فصول في فقه العربية د/ رمضان عبد التواب- مكتبة الخانجي- القاهرة دار الرفاعي- الرياض د.ت.

(21) فقه اللغة : د/ على عبد الواحد وافي ,دار النهضة مصر القاهرة ,ط7,-1972.

(22) القراءات/ لشعبان محمد إسماعيل , دار السلام للطباعة والنشر 1406هـ، 1986م.

(23) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل , وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري,المكتبة التجارية الكبرى بمصر ط1 ,1354ه.

(24) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ,مكى بن أبى طالب القيسي ت"437ه" تحقيق محيى الدين رمضان, ط5 مؤسسة الرسالة , بيروت 1997.

(25) اللباب في علوم الكتاب: تأليف/الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي, تحقيق/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود, والشيخ علي محمد معوض,دار الكتب العلمية بيروت,الطبعة الأولى1419ه-1998

(26) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر: دار المعارف.

(27) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها,لأبي الفتح عثمان بن جني ,تحقيق /علي النجدي ناصف وآخرين,نشر المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية,1389ه.

(28) المحرر الوجيز,لابن عطية الأندلسي ,تحقيق/عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية , بيروت,ط1-1422ه.

(29) مدارك التنزيل وحقائق التأويل/ للنسفي، ط الأولى- دار القلم - بيروت ، سنة 1989.

(30) المصاحف:عبد الله بن سليمان بن أبي داوود السجستاني "ت316ه" ط1 , تحقيق/ محب الدين واعظ إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية , قطر ,1995م.

(31) معاني القراءات لأبن منصور محمد بن أحمد الأزهري "ت370ه", تحقيق/أحمد المزيدي, ط1, دار الكتب العلمية بيروت ,1999م.

(32) معاني القرآن للفراء: أبو زكريا يحيي بن زياد الديلمي"ت207ه",الجزء الأول: تحقيق/أحمد يوسف نجاتي, ومحمد علي النجار, الهيئة المصرية للكتاب ,1980م.الجزء الثاني: تحقيق/محمد علي النجار , الدار المصرية للتأليف والترجمة, د.ت,الجزء الثالث: تحقيق د/عبد الفتاح شلبي , ط1,الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(33) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط1399هـ- 1979م.

(34) المقتضب: للمبرد "أبو العباس محمد بن يزيد ت280ه", تحقيق/الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ,المجلس الأعلى , لجنة إحياء التراث , القاهرة ,1399ه, ط2.

(35) مقدمة ابن خلدون: لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون ,دار إحياء التراث العربى , بيروت , سنة 1408ه.

(36) المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار لأبي عمرو عثمان بن سعيدالداني"ت444ه",ط1, تحقيق/محمد دهمان ,دار الفكر بيروت ,1983م.

(37) منهج أبي حيان الأندلسى فى اختياراته من القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة المعاصر , رسالة دكتوراة للباحث / يحيى عبابنه , جامعة عين شمس القاهرة 1997 .

(38) الموضح في وجوه القراءات وعللها,نصر بن علي بن أبي مريم "ت565ه", تحقيق/عمر الكبيسي , ط1, منشورات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم, بجدة, 1993م.

(39) النشر في القراءات العشر لابن الجزري، تحقيق على محمد الضباع دار الفكر, د.ت

(40) همع الهوامع للسيوطي/ تحقيق: عبد العالم سالم مكرم مطبعة- دار البحوث العلمية، الكويت .

(41) والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد أبي سعيدالأنباري النحوي, ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف:تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الطلائع .د.ت.